المقدسي.. واستحقاق التصحيح (3)

11-7-2005

الحل الوحيد أمام المقدسي أن يدفع استحقاق التصحيح، وأن يمضي قدما في خياراته الجديدة، وأن يكون جريئا ومنسجما مع نفسه في تدارك الأخطاء وإعادة النظر في خياراته الفكرية والسياسية وأن يترك المجال كبيرا لقول كلمة أخرى في ميدان الإصلاح، فليس الخطأ هو الرجوع عن الأخطاء لكن الخطأ الأكبر هو محاولة اللفلفة على الخلافات على حساب ما يعتقد المقدسي أنه الصواب.

بقلم محمد أبو رمان

مواد ذات علاقة

المقدسي واستحقاق التصحيح (1)

المقدسي واستحقاق التصحيح (2)

-3-

خروج المقدسي والأسئلة المطروحة :

كنت قد نشرت سابقا عن الخلاف بين المقدسي والزرقاوي والذي يدور جزء كبير منه حول قضايا جوهرية تتمثل بانتقاد المقدسي لخيارات الزرقاوي الاستراتيجية —وليس التكتيكية- في العراق وأهمها مسألة القيادة (إذ يرى المقدسي أن القيادة يجب أن تكون عراقية)، وقتل المدنيين والأبرياء، واستهداف عموم الشيعة، والتوسع في العمليات "الاستشهادية"، والخطاب الإعلامي للزرقاوي، وصور قتل الرهائن على أشرطة الفيديو. ومن الانتقادات الرئيسية تحويل الزرقاوي الأردن من مجال لبناء حركة التوحيد -التي يحلم بها المقدسي ونقلها إلى غرب النهر- إلى فقط محاولات لضرب مصالح أردنية وأميركية وإسرائيلية من خلال مجموعات يرى المقدسي أنها لم تكن مهيأة أو معدة لهذه الأعمال مما ترتب على ذلك ضررا كبيرا بالتيار السلفي الجهادي في الأردن وإهدار كثير من الأموال.

ويمكن القول إن أحد أبرز القضايا الرئيسية في الاختلاف بين المقدسي والزرقاوي أن المقدسي لا يقبل بالعمل الجهادي في الأردن بمعنى "العمليات المسلحة" وإنما يكتفي بتدريس التوحيد (وفق منهجه) وبناء كادر يحمل هذا الفكر ويشكل حركة والاتجاه غربا (فلسطين المحتلة) على خلاف الزرقاوي الذي رعى مجموعات مسلحة حاولت القيام بعمليات داخل الأردن، وأبرزها ما عرف بتنظيم عزمي الجيوسي، الذي ما زال يحاكم في محكمة امن الدولة الأردنية.

انتقادات المقدسي السابقة كانت تتسرب إلى العلن من خلال عدد من المقربين ومن بعض رسائله التي كانت تنشر على موقعه على الانترنت بعد أن تهرب وتصل إلى المشرفين على الموقع في أوروبا واستراليا ويتولون عملية نشرها على الملأ. وأبرز الوثائق التي توضح رؤية المقدسي النقدية هي "أبو مصعب الزرقاوي.. مناصرة ومناصحة" ورسائله حول ثمرات الجهاد، إلاّ أن المقدسي كان قد بدأ قبل هذه الرسائل عملية المراجعات والتصحيح في فترة السجن الأولى من خلال رسائله الثلاثينية.

حاول عدد من أتباع التيار التشكيك بوجود خلاف بين المقدسي والزرقاوي وبصحة الرسائل الصادرة عن المقدسي -طالما أنه في السجن أو في الأسر على حد تعبير أتباع التنظيم- إلاّ أن خروج المقدسي من السجن وتأكيده من خلال المقابلات التي أجريت معه على بنود الاختلاف أكد على وجود فجوة واسعة وكبيرة بين رؤية كلا الشخصين على الرغم من محاولات المقدسي التأكيد على انتماء الزرقاوي لخطه الفكري.

المفارقة الشديدة أن المقدسي الذي واجه السلطات وتحمل التعذيب وسنوات في السجن وفقد ابنه وغيب عن أهله واستنزف كل وقته مع التيار الذي بناه ورعاه وغذاه بفكره الراديكالي بل وبشخصيته الكاريزمية التي تأثر بها مئات الشباب بمن فيهم أبو مصعب نفسه —سابقا-. فهذا الرجل —أي المقدس لم يكن في مقابلاته الأخيرة يخشى السلطة وإنما يخشى أتباع التيار الجهادي الذي أسسه!.

كما أن شجاعة المقدسي وجرأته في مواجهة السلطة لم تظهر بوضوح في نقده للزرقاوي وتياره ولكثير من الممارسات التي يرفضها المقدسي، بل ظهر الرجل مترددا مفسرا ومعتذرا —بطريقة مؤدبة- عن اختلافه مع الزرقاوي وكأنه أمام مرحلتين التاريخ الذي كتبه هو نفسه ويرفض الآن جزءا كبيرا من مخرجاته وبين المستقبل الذي يتطلع إليه ويتجاوز فيه أخطاء الماضي الكبيرة.

محاولة المقدسي للتصحيح تصطدم بكثير من العقبات أولها أن الجيل الجديد والعدد الأكبر من الشباب لا يشعرون بقيادته ولا يدينون بالولاء له بل لأبي مصعب، لذلك فإن الاصطدام مع الزرقاوي سيكلفه بقية الاحترام الذي بقي له في صدور الشباب الذين لم ينتظر غالبيتهم كثيرا حينما عبروا عن رفضهم لملاحظات المقدسي النقدية وتأييدهم للزرقاوي، ويرى عدد منهم أن المرحلة الحالية قد تجاوزت المقدسي، وأنها لا تتناسب مع "نظرياته الفكرية" بل هي مرحلة العمل والإنجاز الذي يحمل بصمات الزرقاوي على أرض الواقع.

ربما سيحاول المقدسي التأثير من جديد على أفراد التيار الجهادي واستقطاب أعداد جديدة، لكن بالتدريج وبمراحل محاولا سحب البساط من الزرقاوي دون وجود حالة من الصراع المعلن، لكن لا تبدو هذه الفكرة صحيحة لأنها تأتي بعد البناء وليس قبله ومرحلة التصحيح تختلف عن البناء، وقد فقط المقدسي السيطرة بالفعل على أفراد التيار وإذا ما غيب الموت الزرقاوي فإن هناك قيادة جديدة ستفرزها الأحداث وبالتأكيد لن يكون المقدسي برؤيته ومواقفه الحالية أحد المرشحين!.

الحل الوحيد أمام المقدسي أن يدفع استحقاق التصحيح وأن يمضي قدما في خياراته الجديدة وأن يكون جريئا ومنسجما مع نفسه في تدارك الأخطاء وإعادة النظر في خياراته الفكرية والسياسية وأن يترك المجال كبيرا لقول كلمة أخرى في ميدان الإصلاح، فليس الخطأ هو الرجوع عن الأخطاء لكن الخطأ الأكبر هو محاولة اللفلفة على الخلافات على حساب ما يعتقد المقدسي أنه الصواب.

بالتأكيد ليس مطلوبا من المقدسي العنيد أن يتنكر لتاريخه النضالي، لكن المطلوب أن تكون لديه جرأة مواجهة أخطائه وأخطاء أتباع هذا التيار كما كان جريئا في مواجهة السلطة سابقا وألا يتخلى عن شجاعته وجرأته أمام وطأة التاريخ الذي كتب جزءا كبيرا منه!.